الابهاج في شرح المنهاج

على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى ٦٨٥ هـ

تأليف

شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى ٧٥٦ هـ

ومعه ولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى ٧٧١ هـ

تحقيق وتعليق

الدكتور شعبان محمد إسماعيل

رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية التربية بالمدينة المنورة

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد ابو بكر وأخوه محمد

٩ ش الصنادقية - الأزهر - القاهرة

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للناشر

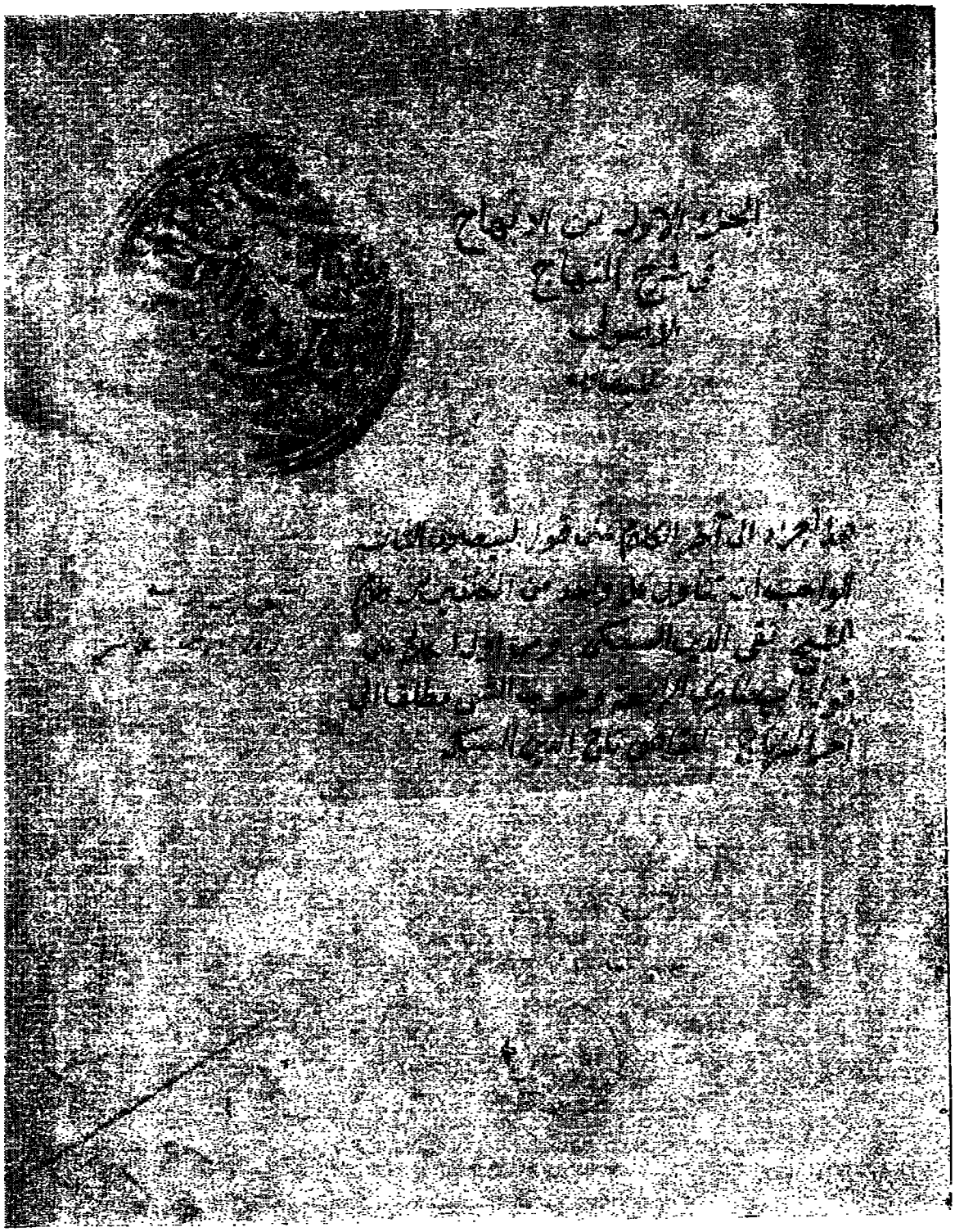

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة

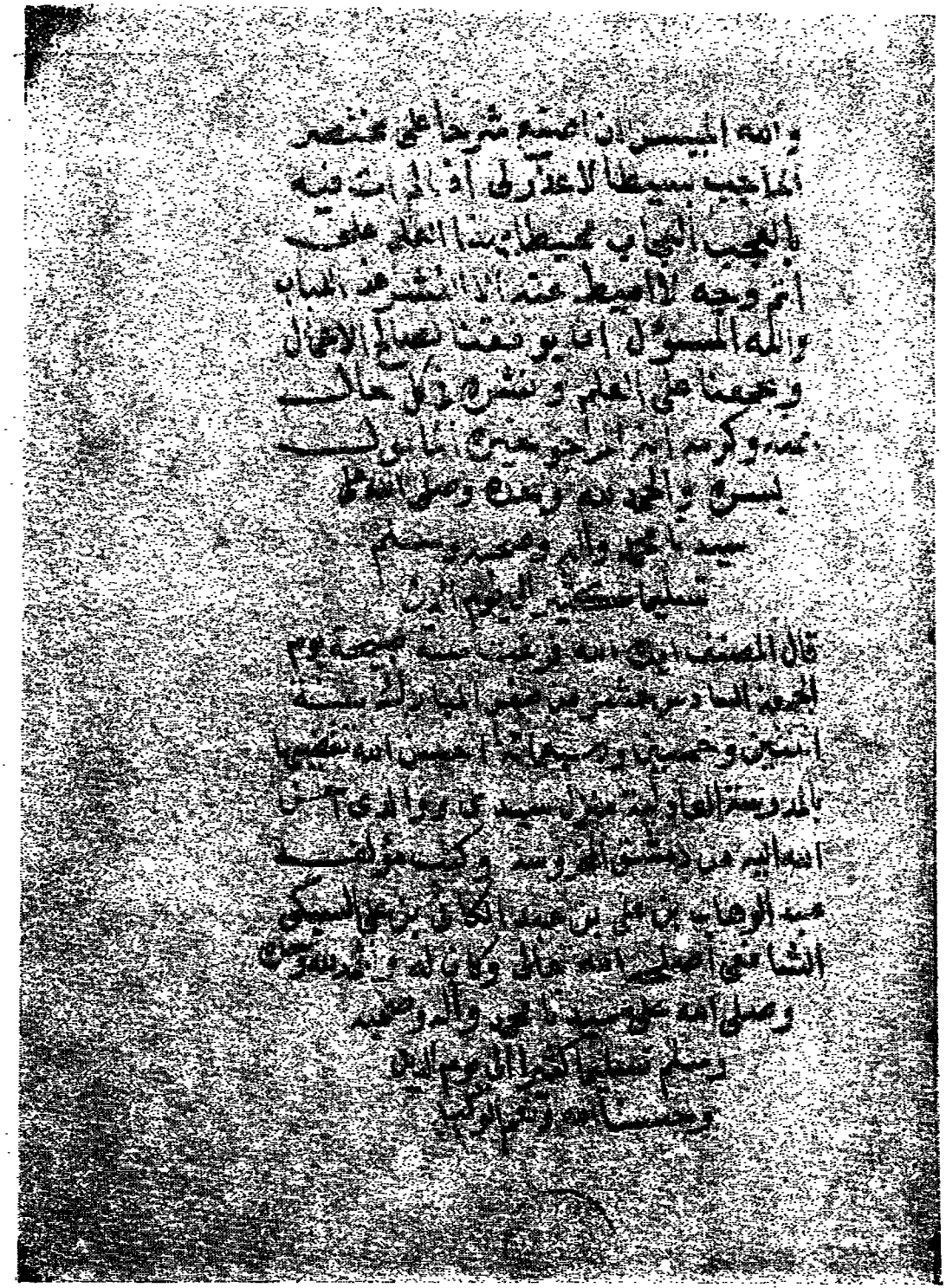

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد : فقد كفلت الشريعة الإسلامية مصالح العباد ، عاجلها وآجلها ، سواء منها ما يتصل بأمور الدين ، أو ما يتصل بأمور الدنيا ، ذلك أن الشريعة دين ودنيا ، عقيدة وعمل .

ولأحكام الشريعة أدلة ومصادر تستقى منها ، وهى كثيرة ومتعددة ، لكنها على كثرتها وتعددها ترجع فى النهاية إلى مصدرين أساسيين : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ مصداق ذلك قول الله تعالى : (. . . فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . . .)(١) .

فالرد إلى الله تعالى : هو الرجوع إلى القرآن الكريم .

والرد إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : الرجوع إليه فى حياته ، وإلى سنته بعد مماته .

وقد بين ذلك ـ أيضاً ـ ما روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنتى »(٢) .

واستخراج الأحكام الشرعية من هذه الأدلة يحتاج إلى دراية تامة بدلالات الألفاظ ، نصاً ، ومفهوماً ، ومعرفة الجمع بين الأدلة عند تعارضها ، وبالمتأخر

---

(١) سورة النساء (٥٨) .

(٢) رواه البخارى ، كتاب : الاعتصام ، باب « العمل بالكتاب والسنة » .

والمتقدم فى النزول، والناسخ والمنسوخ ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، المجمع عليها والمختلف فيها ، ومعرفة علل الأحكام التى هى أســـاس القياس فى الشرع الإســلامى .

ومن هنا كانت دراسة علم « أصول الفقه » من أهم العلوم التى تعصم الذهن من الخطأ فى فهم الشريعة ، وتلمس عللها وأحكامها ، والوقوف على أسرار المصالح التى قصدها الشرع الحكيم .

ذلك أن الأحكام الشرعية إما أن ينص عليها بعينها ، وإما أن توضع تحت قواعد كلية يندرج تحتها الكثير من الجزئيات التى تجد مع مرور الزمن وتجدد الحوادث ، فتحتاج فى استخراج أحكامها من هذه القواعد إلى دراية تامة بقواعد علم « أصول الفقه » واللغة العربية ، وعلوم التفسير والحديث ، وأسباب النزول ، وغير ذلك من العلوم التى تؤهل الفقيه إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الإجمالية .

على أن هناك من العلماء من لم يصل إلى درجة المجتهدين ، كما أنه ليس من العامة ، وهؤلاء هم أتباع المذاهب المختلفة ، الذين ينتصرون لمذاهب أئمتهم ويدافعون عنها ، ويسمون « بمجتهدى المذاهب » وهؤلاء يبحثون عن أدلة أئمتهم التى استنبطوا منها الأحكام ، فإذا عرضت لهم مسألة لم ينص عليها الأئمة أمكنهم أن يجيبوا عنها تخريجاً على تلك القواعد ، وإذا روى عن أحد الأئمة رأيان فى مسألة أمكنهم أن يختاروا الرأى الذى يوافق قواعد الإمام .

كما أن دراسة علم « أصول الفقه » تعين على فهم سائر العلوم الإسلامية الأخرى ، كالفقه ، والتفسير ، والحديث ، وغير ذلك ، فإنه يحقق فى الدارس قوة الإدراك لحقائق هذه العلوم ، والكشف عن دقائقها ، وكيفية النظر فيها ، والاستفادة منها .

لذلك يعتبر العلماء أن أصول الفقه ليس مقصوداً لذاته ، لأنه وسيلة إلى العلم بالأحكام الشرعية ، والعلم بها واجب ، وما هو وسيلة إلى الواجب فهو واجب ، كما يقول علماء المنطق .

أهمية هذا الكتاب :

إن كتاب « الإبهاج » من أجل الشروح التى وضعت على كتاب « المنهاج » حيث يعنى بتحرير المسائل الأصولية بالنقل المقارن عن علماء الأصول ، ثم بترجيح ما هو راجح ، فى عبارة سهلة سلسة ، لا غموض فيها ولا التواء ، مقرونة بالدليل الذى يستند إليه من الكتاب والسنة ، أو العقل .

هذا بالإضافة إلى المميزات التى لكتاب « المنهاج » نفسه ، والتى دفعت الإمام السبكى وابنه إلى شرحه ، والتى أشار إليها فى مقدمة كتابه « الإبهاج » حيث قال :

«وقد أكثر الناس من التصنيف فيه ـ أى فى علم الأصول ـ فكم من تصنيف فيه مبسوط ومختصر وناقص وزائد ، ومن أحسن مختصراته ، كتاب « المنهاج فى الوصول إلى علم الأصول » الذى صنفه القاضى الفاضل ناصر الدين « عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى » رحمه الله ، فلقد أحسن فيه المعاقد ، وقد قرىء علىّ مرات كثيرة من جماعات ، حتى سمحت أمراه من كثرة الموارد ، وانتشرت طلبته ، فلم أقتنع من واحد ، وفى هذا الوقت شرع فى الاشتغال به والدى أبو حامد ، أعطاه الله من خيرى الدنيا والآخرة ما هو قاصد ، وزاده مما ليس فى حسابه كل خير ، إنه الكريم الماجد ، فأجبت أن أضع له شرحاً لينتفع هو وغيره إن شاء الله ، وعسى دعوة من أخ فى الله تنفعنى وأنا فى القبر راقد ، وسميته « الإبهاج فى شرح المنهاج » وأخذت هذا الاسم من قول ذى الرمة :

تزداد العين إبهاجاً إذا سفـــرت

ومخرج العين فيها حين يلتفت(١)

المقدار الذى شرحه الامام السبكى « الوالد » :

سبق أن نقلنا عن الإمام السبكى أنه أراد أن يضع شرحاً على كتاب « المنهاج » لينتفع به المسلمون عامة ، ووالده « أبو حامد » أحمد بن على المتوفى سنة ٧٧٣ هـ

---

(١) مقدمة الإبهاج جـ ١ ص ـ ٤ مع نهاية السول .

خاصة ، ولكن المنية وافته قبل إتمام الكتاب ، فوصل فيه إلى مسألة « مقدمة الواجب » فأكمله ولده تاج الدين عبد الوهاب السبكى ابتداء من قول البيضاوى : « الرابعة وجوب الشيء مطلقا يوجب وجوب ما لا يتم إلا به وكان مقدوراً » كما سترى ذلك أثناء الكتاب ، وبشهادة ولد المؤلف : تاج الدين السبكى حيث قال بعد مقدمة طويلة : « وقد وصل والدى الشيخ الإمام جزاه الله الخير إلى مسألة : مقدمة الواجب ، ونحن نتلوه والله الموفق المعين ، بخفى ألطافه ، والمحقق لرجاء العبد بإسعاده وإسعافه(١) » .

---

(١) الإبهاج جـ ١ ص ٦٨ — ٦٩ .

التعريف بمؤلفي الكتاب

وما دمنا نقدم لكتاب « الإبهاج » فإنه يصبح من الضروري أن نعرف بمؤلفي هذا الكتاب ، وهما : شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، وولده : تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، ومؤلف كتاب « المنهاج » وهو القاضي البيضاوي .

القاضي البيضاوي :

هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، الشافعي ، الملقب بناصر الدين ، المكنى بأبي الخير .

ولد بالمدينة البيضاء بفارس ، قرب شيراز ، وإليها نسبته التي اشتهر بها .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ إماما مبرزاً في سائر العلوم النقلية والعقلية ، كالتفسير والحديث ، والفقه والأصول ، وعلوم اللغة العربية .

كذلك كان قاضياً عادلا ، ولي قضاء « شيراز » مدة طويلة ، ثم عزل عن القضاء لشدته في الحق ، فرحل إلى « تبريز » وأقام بها مدة ينشر خلالها العلم والمعرفة.

مؤلفاته :

ألف العديد من الكتب في شتى العلوم النقلية والعقلية التي تدل على رسوخ قدمه ، وسعة اطلاعه ، منها :

١ ـــ تفسير القرآن الكريم، المسمى « أنوار التنزيل » فتلقاه العلماء بالقبول شرقا وغربا ـــ ووضعوا عليه الشروح والحواشي وطبع عدة طبعات .

٢ ـــ منهاج الوصول إلى علم الأصول ، وهو الكتاب الذي بين أيدينا .

٣ ـــ شرح مصابيح السنة للإمام البغوي في الحديث .

٤ ـــ طوالع الأنوار ـــ في علم الكلام ـــ وهو من أجل المختصرات التي ألفت في علم الكلام . طبع عدة طبعات .

٥ ـــ المصباح ـــ في علم الكلام ـــ اختصره من كتاب : الطوالع المتقدم.

٦ — شرح مختصر ابن الحاجب — فى أصول الفقه ، سماه : « مرصاد الأفهام إلى مبادىء الأحكام » .

٧ — شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب .

٨ — تاريخ الدول الفارسية ، المسمى « نظام التواريخ » .

٩ — شرح المنتخب فى أصول الفقه للإمام فخر الدين الرازى .

وغير ذلك من المؤلفات التى طبعت والتى لا تزال مخطوطة حتى الآن .

وفاته :

توفى — رحمه الله تعالى — بتبريز سنة ٦٨٥ هـ على ما قاله الحافظ ابن كثير ، وقيل : سنة ٦٩١ هـ على ما قاله جمال الدين الإسنوى ، وتاج الدين السبكى فى طبقاته الصغرى ، وقيل سنة ٧١٩ هـ وصححه المؤرخون فى التواريخ الفارسية ، وارتضاه المولى شهاب الدين الخفاجى فى حاشيته على تفسير القاضى البيضاوى (١) .

---

(١) راجع فى ترجمته : طبقات الشافعية للسبكى (١٥٧/٨) البداية والنهاية (٣٠٩/١٣) تاريخ الأدب الفارسى ص ١١٦ ، شذرات الذهب (٢٩٢/٥) طبقات الشافعية للإسنوى (٣٨٣/١) بغية الوعاة للسيوطى (٥٠/٢ — ٥١) الأعلام للزركلى (٢٤٨/٤ — ٢٤٩) .

اسرة السبكى :

لقد كانت أسرة « السبكى » من الأسر التى شاركت فى النهضة العلمية فى القرن الثامن الهجرى ، من نشر العلم وتعويض الأمة الإسلامية عما فقدته من المؤلفات العلمية نتيجة الزحف التترى على الأمة الإسلامية فى القرنين : السادس والسابع : فالأب الأكبر لهذه الأسرة هو : زين الدين أبو محمد عبد الكافى بن على بن تمام السبكى ، المتوفى سنة ٧٣٥ هـ بالمحلة يوم الثلاثاء ٩ من شعبان . بعد حياة حافلة بالعلم والجهاد ، فقد كان — رحمه الله — أصولياً نظاراً ، فقيهاً صالحاً ورعاً ، له نظم ظريف فى الزهد ومدح الرسول ﷺ ، كما تولى قضاء كل من محافظتى الشرقية والغربية بمصر (١) .

وولده شيخ الإسلام ، تقى الدين أبو الحسن على المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ملأ أقطار الأرض علماً ، وتصدى للتدريس والفتيا والقضاء بين الناس .

واحفاده :

(ا) بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على المتوفى سنة ٧٧٣ هـ صاحب اليد الطولى فى علوم اللسان العربى ، والمعانى والبيان ، وأسند إليه إفتاء دار العدل ، وقضاء العسكر ، وقضاء الشام ، وخطابة جامع ابن طولون .

(ب) وجمال الدين أبو الطيب الحسين بن على المتوفى ٧٥٥ هـ كان ذا باع طويل فى شتى العلوم النقلية والعقلية ، بالإضافة إلى تولى منصب التدريس بالمكارية ، وبالشامية البرانية .

(ج) كذلك حفيده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على ، وصل إلى أرقى المناصب العلمية من التدريس والفتيا والقضاء ، وغير ذلك مما سنذكره فى ترجمته بعد ذلك بقليل .

الإمام السبكى (الوالد) :

ترجم له ولده فى طبقاته فقال :

على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى

---

(١) طبقات الشافعية (١٠/٨٩ — ٩٤) .

ابن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم السبكي - الشيخ الإمام ، الفقيه ، المحدث ، الحافظ ، المفسر ، المقرىء ، الأصولي ، المتكلم ، النحوي اللغوي ، الأديب الحكيم ، المنطقي ، الجدلي ، الخلافي النظار ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، تقي الدين أبو الحسن .

شيخ المسلمين في زمانه ، والداعي إلى الله في سره وإعلانه ، والمناضل عن الدين الحنيفي بقلمه ولسانه .

أستاذ الأساتذين ، وأحد المجتهدين ، وخصم المناظرين - جامع أشتات العلوم ، والمبرز في المنقول منها والمفهوم ، والمشمر في رضا الحق وقد أضاءت النجوم .

شافعي الزمان ، وحجة الإسلام المنصوب من طرق الجنان ، والمرجع إذا دجت مشكلة وغابت عن العيان .

عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، وباب العلم في عصره ، وكيف لا وهو « علي » الذي تمت به النعماء .

ولادته ونشأته :

ولد في الثالث من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتفقه في صغره على والده ، ثم تزوج بابنة عمه وعمره خمس عشرة سنة ، ثم دخل القاهرة مع والده فاستمع إلى علمائها في ذلك العصر ، كعلي بن بنت الأعز ، وتقي الدين ابن دقيق العيد ، ونجم الدين ابن الرفعة والشيخ علاء الدين الباجي ، وسيف الدين البغدادي ، وعلم الدين العراقي .

كما تلقى القراءات على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ ، والفرائض على الشيخ عبد الله الغماري المالكي .

وأخذ الحديث عن الحافظ شرف الدين الدمياطي ، والنحو عن الشيخ أبي حيان .

ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من أبي الحسين يحيى بن أحمد الصراف .

كما رحل إلى « دمشق » فأخذ يتلقى فيها العلوم عن علماء عصره مثل : ابن الموازيني ، وابن مشرف ، وأبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم ، وغيرهم .

قال السبكى عن والده :

« رحل الوالد ـ رحمه الله ـ إلى الشام فى طلب الحديث فى سنة ست وسبعمائة، وناظر بها ، وأقر له علماؤها ، وعاد إلى القاهرة فى سنة سبع ، مستوطناً مقبلا على التصنيف والفتيا ، وشغل الطلبة ، وتخرج به فضلاء العصر .

ثم حج فى سنة ست عشرة ، وزار قبر المصطفى ـ ﷺ ـ ثم عاد وألقى عصا السفر واستقر ، والفتاوى ترد عليه من أقطار الأرض ، وترد إليه بعضاً على بعض ـ وانتهت إليه رياسة المذهب بمصر فما طافت على نظيره . .

تولى قضاء الشام بعد وفاة جلال الدين القزوينى .

كما ولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة الحافظ المزى .

مؤلفاته :

للإمام السبكى مؤلفات عديدة ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط ، نذكر منها :

١ ـــ الدر النظيم فى تفسير القرآن العظيم .

٢ ـــ تكملة المجموع فى شرح المهذب للشيرازى فى فقه الشافعية .

٣ ـــ التحبير المذهب فى تحرير المذهب وهو شرح على كتاب المنهاج .

٤ ـــ الابتهاج فى شرح المنهاج للنووى ، وصل فيه إلى أوائل الطلاق ، ثم أكمله ابنه : بهاء الدين أحمد كما فى كشف الظنون ١٨٧٣ .

٥ ـــ رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ـــ بدأ فيه ولم يكمله ، ثم أتمه ولده : تاج الدين عبد الوهاب

٦ ـــ الرقم الإبريزى فى شرح مختصر التبريزى .

٧ ـــ الوشى الإبريزى فى حل التبريزى . ولم يكمل هذين الكتابين .

٨ ـــ التحقيق فى مسألة التعليق ـــ وهو الرد على الإمام ابن تيمية فى مسألة الطلاق .

٩ ـــ الابهاج فى شرح المنهاج ـــ وهو الكتاب الذى بين يديك .

ومن راجع كتب الطبقات وقف على العديد من مؤلفاته فى جميع العلوم النقلية والعقلية .

مذهبه وعقيدته :

كان ـ رحمة الله تعالى عليه ـ شافعي المذهب ، وكانت له اجتهادات وترجيحات في مذهب الإمام الشافعي في أبواب الفقه المختلفة (١) .

كما كان أشعري العقيدة ، وكانت له بعض الآراء الخاصة ، مثل أن الكلام النفسي يسمع ، وأن التعلق قديم ، وأن الروح لا تفنى أبداً ، وامتناع المعاصي : صغيرها وكبيرها ، عمدها وسهوها ، على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها .

كذلك يرى أن البشر أفضل من الملك ، ولكن لا يجب على المكلف اعتقاد ذلك.

وقال : إن الرضا غير الإرادة . إلى آخر ما نقله عنه ولده عبد الوهاب في طبقاته (٢) .

وفاته :

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة بالقاهرة ، ودفن بمقرافة باب النصر . تغمده الله بواسع رحمته (٣) .

تاج الدين السبكي (الابن) :

هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام السبكي .

ولد بمصر سنة ٧٢٧ هـ على ما ذكره جمهور المؤرخين . على أن ابن حجر وابن تغرى بردى يرجحان أنه ولد سنة ثمان وعشرين . ويرى الزبيدي في تاج العروس أن

---

(١) انظر : طبقات الشافعية للسبكي حـ ١٠ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٢) راجع الطبقات حـ ١٠ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ حـ ١ ط عيسى الحلبي .

(٣) راجع في ترجمته : البداية والنهاية (١٤/٢٥٢) البدر الطالع (١/٤٦٧) بغية الوعاة (٢/١٧٦) تذكرة الحفاظ (٤/١٥٠٧) طبقات القراء لابن الجزري (١/٥٥١) مفتاح السعادة (٢/٣٦٣) النجوم الزاهرة (١٠/٣١٨) طبقات ابن السبكي (١٠/١٢٩) وما بعدها .

مولادته كانت سنة تسع وعشرين وسبعمائة (١) .

نشأته وطلبه للعلم :

لقد نشأ تاج الدين السبكي في بيت يموج بالعلم والمعرفة ، فحفظ القرآن الكريم ، وتلقى عن والده أصول العربية ، والعقيدة والفقه وغير ذلك من العلوم التي كان والده مرجعاً لطلاب عصره فيها .

ولم يكتف ابن السبكي بالتلقي عن والده ، وإنما اتجه إلى الاستفادة من كبار العلماء في عصره ، مثل : ابن الشحنة ، ويونس الدبوسي ، ويحيى بن المصري ، وعبد المحسن الصابوني ، وابن سيد الناس وغيرهم .

ولما تولى والده منصب قاضي قضاة الشام رحل معه إلى دمشق سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، فسمع من علمائها : مثل ابن أبي اليسر ، وابن تمام ، والمزي ، والذهبي ، وأثير الدين أبي حيان وغيرهم .

قال السبكي عن نفسه في طبقاته عند ترجمته لشيخه المزي :

« وكنت أنا كثير الملازمة للذهبي ، أمضي إليه في كل يوم مرتين : بكرة والعصر ، وأما المزي فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع ، وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة والمحبة فيّ ، بحيث يعرف من عرف حالي معه أنه لم يكن يحب أحداً كمحبته فيّ ، وكنت أنا شابا ، فيقع ذلك مني موقعاً عظيماً .. (٢) »

ثم يقول :

« شغر مرة مكان بدار الحديث الأشرفية ، فنزلني فيه ، فعجبت من ذلك ، فإنه كان لا يرى تنزيل أولاده في المدارس ، وها أنا لم آل في عمري فقاهة في غير دار الحديث ، ولا إعاذة عند الشيخ الوالد ، وإنما كان يؤخرنا إلى وقت استحقاق التدريس ـ على هذا ربانا رحمه الله ـ فسألته فقال :

---

(١) تاج العروس للزبيدي (س ب ك) الدرر الكامنة (٢/٤٢٥) المنهل الصافي لابن تغري بردي (١/٣٦٠) النجوم الزاهرة (١١/١٠٨) .

(٢) طبقات ابن السبكي (١٠/٢٩٥) .

ليقال : إنك كنت فقيهاً عند المزى ، ولما بلغ المزى ذلك أمرهم أن يكتبوا اسمى فى الطبقة العليا ، فبلغ ذلك الوالد فازعج وقال : خرجنا من الجد إلى اللعب ، لا والله ، عبد الوهاب شاب ، ولا يستحق الآن هذه الطبقة . اكتبوا اسمه مع المبتدئين . فقال له شيخنا الذهبي : والله هو فوق هذه الدرجة ، وهو محدث جيد. فضحك الوالد وقال : يكون مع المتوسطين (١) » .

مكانته العلميـة :

كان لنبوغ السبكى المبكر أثره البالغ فى لفت أنظار الناس إليه ، وتوليه المناصب العلمية ، فقد أجازه شمس الدين ابن النقيب بالإفتاء والتدريس ، وعمره لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

وقال عنه الحافظ شهاب الدين بن حجى :

« حصّل فنوناً من العلم : من الفقه ، والأصول ، وكان ماهراً فيه ، والحديث ، والأدب ، وبرع وشارك فى العربية ، وكان له يد فى النظم والنثر ، جيد البديهة ، ذا بلاغة وطلاقة لسان ، وجرأة جنان ، وذكاء مفرط ، وذهن وقاد (٢) » .

كما كان عالماً بعلم الكلام ، ويناقش قضايا العقيدة ، وخلافيات علم الكلام بوجه عام . وعقد فصلا خاصاً للحديث عن الإيمان والإسلام والإحسان ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، والقدر خيره وشره .

كما كانت له دراية بمعرفة الحوادث التاريخية وسير الرجال والتاريخ الاسلامى . والعلوم اللسانية : من النحو والصرف والبلاغة والعروض ، وغريب اللغة ، والأدب ، وخاصة بالشعر العربى وفنونه المختلفة .

وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتم السبكى ببعض العلوم أكثر من اهتمامه بالبعض الآخر :

(أ) فقد اهتم بدراسة الفقه ؛ لما للفقه فى ذلك الوقت من مكانة ؛ لحاجة الناس إليه ؛ ولتصدر مناصب الفتيا والقضاء .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) نقله ابن حجر فى الدرر الكامنة (٢/٤٢٥) .

لذلك نراه يملأ طبقاته الكبرى بالكثير من المسائل الفقهية ومناظراته فيها .

(ب) كما اهتم بعلم « أصول الفقه » لما له من عظيم الأثر فى تربية ملكة الاجتهاد لدى الفقيه ، يدل على ذلك مؤلفاته المتعددة فيه كما سيأتى .

(جـ) كذلك أولى علم الحديث أهمية كبرى ؛ فروى الستة عن حفاظ عصره ؛ واهتم بالجرح والتعديل ؛ ونقد الرجال ؛ ووضع فى ذلك قواعد استدرك بها على من سبقه .

فقال فى ترجمة أحمد بن صالح المصرى :

« الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته ؛ وكثر مادحوه ومزكوه ؛ وندر جارحه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه : من تعصب مذهبى أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فتحنا هذا الباب ، أو أخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون » .

وقد تولى الإمام السبكى مناصب عديدة : من التدريس ، والقضاء وغيرذلك .

فقد تولى التدريس فى العزيزية ، والعادلية الكبرى والغزالية ، والعذراوية ، والشاميتين ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ، كما تولى تدريس الشافعى بمصر ، والشيخونية ، والميعاد بالطالع الطولونى .

كما تولى الخطابة فى الجامع الأموى بدمشق ، وقضاء الشام سنة ست وخمسين وسبعمائة .

وهكذا ظل تاج الدين السبكى يتنقل بين وظائف الدولة حينئذ ، حتى طارت شهرته فى كل الأقطار الإسلامية ، وأصبح عمدة الناس فى الفتيا ، وكان أهل مصر يرسلون إليه يستفتونه فى كثير مما يعرض لهم من أمور .

مذهبه وعقيدته :

من خلال دراستنا لحياة ابن السبكى تبين لنا أنه كان شافعى المذهب ، وألف فيه الكثير ، وجمع فتاوى والده ، وله كثير من المسائل التى تفرد فيها برأى خاص ،

أو ترجيح لبعض الآراء على البعض الآخر ، يلاحظ ذلك من طالع فى كتابه : « الطبقات الكبرى » .

كما كان أشعرى العقيدة ، يناقش قضاياها ، ويتحدث فى خلافيات علم الكلام ، وقد ذكرنا فى مكانته العلمية أنه عقد فصلا خاصاً للحديث عن الإيمان والإسلام والإحسان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، كما تحدث عن القدر خيره وشره .

مصنفاته :

لتاج الدين السبكى العديد من المصنفات فى العلوم النقلية والعقلية ، الأمر الذى يدل على سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، ورسوخ قدمه .

وإليك أنموذجاً من مؤلفاته المختلفة :

١ — الأشباه والنظائر فى الفروع الفقهية .
٢ — أوضح المسالك فى المناسك .
٣ — ترشيح التوشيح . فى أصول الفقه .
٤ — جمع الجوامع . فى أصول الفقه .
٥ — رفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول .
٦ — الإبهاج فى شرح المنهاج للبيضاوى .
٧ — منع الموانع على جمع الجوامع . تعليق له على كتابه : جمع الجوامع .
٨ — الدلالة على عموم الرسالة — جواباً عن أسئلة أهل طرابلس .
٩ — الشيف المشهور فى شرح عقيدة أبى منصور الماتريدى .
١٠ — قواعد الدين وعمدة الموحدين .
١١ — الفتاوى .
١٢ — طبقات الشافعية : الصغرى والوسطى والكبرى .
١٣ — معيد النعم ومبيد النقم .
١٤ — رفع الحوبة فى وضع التوبة .

١٥ — ترجيح تصحيح الخلاف .

١٦ — أحاديث رفع اليدين .

وغير ذلك مما هو مطبوع أو مخطوط ، مما نرجو أن ينتفع به المسلمون فى كل مكان .

وفاته :

توفى — رحمه الله تعالى — بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، ليلة الثلاثاء سابع ذى الحجة سنة ٧٧١ هـ . ودفن بسفح « قاسون » بعد أن بلغ من العمر أربعاً وأربعين سنة مباركة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

إنه خير مأمول ، وأكرم مسئول(١) .

---

(١) راجع فى ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٩٥ — ٣١٨) تاج العروس للزبيدى ، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان .

حسن المحاضرة للسيوطى (١/١٤٨) طبعة مصر . الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى (١/٣٧) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٢/٤٢٥ — ٤٢٨) درة الأسلاك فى دولة الأملاك لابن حبيب . مصور بدار الكتب المصرية :

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٦/٢٢١ — ٢٢٢) .

كشف الظنون لحاجى خليفة . فهرس الفهارس للكتانى (٢/٣٧٢) .

المنهل الصافى لابن تغرى بردى (١/٣٦٠) مخطوط بدار الكتب المصرية . النجوم الزاهرة لابن تغزى بردى (١١/١٠٨) فهرس دار الكتب المصرية (تاريخ) فهرس جامعة الدول العربية (تاريخ) الأعلام لخير الدين الزركلى (٥/١١٦) مقدمة طبقات الشافعية لابن السبكى بتحقيق محمود محمد الطناحى ، عبد الفتاح محمد الحلو ط عيسى الحلبى .

النسخ

التى اعتمدت عليها فى تحقيق الكتاب

لما عهد إلى تحقيق هذ الكتاب من قبل أصحاب « مكتبة الكليات الأزهرية » جزاهم الله عن العلم وأهله أفضل الجزاء ـ بحثت عن نسخ هذا الكتاب فوجدت له هذه النسخ :

١ ـ نسخة مطبوعة بهامش كتاب « نهاية السول » للإسنوى بمطبعة التوفيق الأدبية بمصر .

وهى الطبعة الوحيدة لهذا الكتاب ، وقد نفذت هذه الطبعة منذ فترة طويلة .

٢ ـ نسخة مخطوطة بقلم معتاد فى مجلدين بخط محمد على بن الأجهورى الشافعى ـ الجزء الأول ٥٣٧ ورقة ٢١ سطراً . فرغ من كتابتها فى صباح يوم الخميس ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٣١ هـ .

والجزء الثانى ٣٥٩ ورقة ٢١ سطراً أيضاً ، ولكن بدون تاريخ وعليها بعض التعليقات والتملكات .

مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٨٤) أصول الفقه .

٣ ـ نسخة كالسابقة تماماً مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١ م) أصول الفقه .

٤ ـ الجزء الأول من نسخة مخطوطة فى مجلد بقلم معتاد ، بخط العلامة شمس الدين محمد ابن القضى القضاة أبى عبد الله محمد بن شرف الزرعى الشافعى المتوفى يوم الاثنين فى السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٧٩ هـ . فرغ من كتابتها قبيل ظهر يوم الأحد الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٧٥٤ هـ . بهامشها تاريخ وفاة الناسخ نقلا عن والده شمس الدين محمد الشهير بالعجمى ، ومذيلة بما يفيد أن الناسخ المذكور قرأها على والده أفضى القضاة المذكور ، وعلى ظهر الورقة الأولى خط مكملها تاج الدين ولد المصنف فى منتصف ربيع الأول سنة ٧٥٥ هـ .

وبها خروم بين ورقة (٢٩) ومن قبيل الآخر . وبها أثر عرق وتقطيع .

وقوبلت هذه النسخة على نسخة ولد المصنف بتاريخ جمادى الأولى سنة ٧٥٤ هـ . كما فى آخر الأصل المكمل ، وبهامشها بعض تقييدات ، وعدد أوراقها ٢١٢ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطراً فى حجم الربع ، وينتهى هذا الجزء عند الفصل الثالث « فى المبين له » .

مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٠) أصول الفقه طلعت .

وللكتاب نسخ أخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية ، إلا أنها أجزاء متفرقة وغير كاملة . الأمر الذى جعلنى أقتصر على هذه النسخ لسلامتها ووفائها بالغرض . وبالله التوفيق .

عملى فى التحقيق :

لقد اتخذت هذه النسخ الأربع أصلا للعمل فى الكتاب ، وأثبت فى الأصل ما هو الصحيح منها ، وأشرت فى الحاشية إلى وجوه الاختلاف بين هذه النسخ .

كما استعنت على تصحيح ما فى الكتاب من أخطاء ببعض الشروح الأخرى التى وضعت على « المنهاج » مثل : « نهاية السول » للإسنوى ، و « مناهج العقول شرح منهاج الوصول » للبدخشى ، و « معراج المنهاج » للجزرى وغير ذلك .

كما أنى رجعت إلى ما تيسر لى الاطلاع عليه من الكتب التى رجع إليها المؤلفان ، الأمر الذى جعل هذا الكتاب يبدو فى صورة واضحة تعين الباحث على الاطلاع والبحث .

وهذا مجمل ما قمت به من عمل فى هذا الكتاب :

١ — تخريج شواهد الكتاب ، من القرآن والسنة ، والشعر ، والآثار المختلفة ، مع نسبة كل قول لقائله ، أو ناقله ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية أو المساعدة .

٢ — تصحيح الألفاظ التى تخالف قواعد الإملاء الحديثة ، بما يوافق آخر الاصطلاحات الحديثة ، حتى يكثر النفع بهذا الكتاب لدى العامة والخاصة .

٣ — التعريف بالأعلام والكتب التى ترد فى الكتاب بالقدر الذى يتفق وأسلوب التحقيق .

٤ — إحالة بعض المسائل الغامضة إلى المراجع التى توضحها ، والتى لا يكفى فيها الإشارة السريعة فى هامش الكتاب .

٥ — ضبط الكلمات الغريبة لغوياً ، والإشارة إلى معانيها ، أو المقصود منها فى المقام الذى تذكر فيه إن تعددت معانيها ، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم العربية .

٦ — إحالة بعض الفروع الفقهية التى ترد للاستشهاد إلى كتب الفروع الفقهية فى المذاهب المختلفة .

٧ — التعريف بالفرق وأصحاب الملل والنحل ، التى جاءت فى الكتاب بالقدر الذى يتفق وطبيعة التحقيق .

٨ — قابلت أصل الكتاب « المنهاج » على طبعاته المختلفة وأثبت ما بين هذه الطبعات من فروق .

٩ — وضعت عناوين الموضوعات فى صلب الكتاب لتعين القارىء على التمييز بينها من أغرب الطرق ، وأجزت لنفسى ألا أضعها بين معقوفين لتعذر ذلك ، وطلبا للاختصار .

١٠ — قسمت الكتاب — كما هو فى الطبعة الأولى — إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : من أول الكتاب إلى كيفية الاستدلال بالألفاظ .

الجزء الثانى : من أول « الباب الثانى فى الأوامر والنواهى » إلى آخر كتاب « الإجماع » .

الجزء الثالث : من أول الكتاب الرابع فى القياس إلى آخر علم الأصول .

وفيما يلى نموذج للصفحات الأولى والثانية والأخيرة من المخطوطة رقم (٤٨٤) .

وإنى لأتوجه إلى الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به بقدر إخلاصى فيه إنه سميع مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شعبان محمد اسماعيل